مفتاح الصدور

لتبرك في طريق الرب الغفور

المجموع من كلام العلماء الكبار معه الفقير الى عفو رب القدير

الحاج احمد صاحب الوفى تاج العارفين

سورياليا تاسيكماليا اندونيسيا

الجزء الثاني

١٤١١/١٩٩٠

مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

الاية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي وفق من شاء من عباده لسلوك الطريق المستقيم احمده سبحانه واشكره على سوابغ نعمته واشهد ان لااله الاالله وحده لا شريك له واشهد ان محمد عبده ورسول الله الداعى الى كل خير والمخذر من كل شر اللهم صل وسلم هلى عبدك ورسولك محمد وعلى اله وصحبه اجمعين "امابعد"

فقد طلبنى شيخنا المكرم الشيخ صاحب الوفى تاج العارفين فى سوريااليا تاسكماليا ان القى كلمة طيبة لرسالته المرشدية "مفتاح الصدور" جزء الثاني بالعربية وما انا اهله الا بعناية الله وبركة الشيخ فلما اطلعت رسالته هذه وجدتها من احسن السفر فى فن التصوف لاسيما فى بيان الطريقة والذكر للمبتدئين والسالكين والمحققين نشكر الله احسن الجزء فى الدنيا

والاخرة وقال السيد سابق فى كتابه المشهور عناصر القوة فى الاسلام على دراسة التصوف التصوف علم من العلوم الاسلامية وهو فى حقيقة امره روح الاسلام وجوهره... والعودة الى نقائه وصفائه لاتجهدنا كثيرا اذااحتكمنا الى الكتاب والسنة ورجعنا الى ائمة التصوف الذين يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ... وقد اصدر فضيلة الاستاذ الاكبرشيخ الجامع الازهر قرارابتأليف لجنة النهوض بالطرق الصوفية وكنت (اى سيد سابق) مقررا لهذه اللجنة (ص : ٩٢_٩١)

وقال الشيخ عبد الواحد يحى ان الطريقة هي الخط الذاهب من الدائرة الى المركز وكل نقطة على الدائرة هى المبتداء الخط وهذه الخطوط التى لا تحصى تنتهى كلها الى المركز .... والمركز هو القرأن الكريم والسنة الصحيحة وقال ايضا والطريقة والحقيقة يجتمعان يطلق عليهما التصوف وهو ليس مذهبا خاصا لانه الحقيقة المطلقة وليس الطرق مدارس مختلفة لانها طرق اى سبل موصلة جميعها الى الحقيقة المطلقلة يعنى التوحيد واحد وعلى كل حال فيصل الحق فى مسألة اصل التصوف : ان السنة ترشد فى صراحة لا لبس فيها الا ان الشريعة والحقيقة كليهما يتبعان

مباشرة من تعليمات الرسل صلوات الله عليهم والواقع ان كل طريقة صحيحة تعتمد على سلسلة تصل دائما الى الرسول والحق ان التصوف عربي اسلامكما ان القرأن الذى يستمد التصوف اصوله سنة مباشرة عربى اسلامى واذا كان التصوف يستمد اصوله من القرأن فى الطبيعى ان لا يوجد قبل ان تفهم القرأن ويفسر وينتدير ولقد فسر القرأن اولا لغويا ومنطقيا وكلاميا ولكن تفسيره صوفيا اقتضى مرور زمن لتأمله فى عمق وشمول واذاكان القرأن مصدر الشريعة والحقيقة معا فلا يمكن ان يوجد تناقض اواختلاف ما وكيف يوجد الاختلاف ومصدرها واحد ؟ وكيف يوجد الاختلاف والحقيقة لاتقوم الا على الشريعة فى اساسها وفى سندها ؟ ولا بد فى تصوف من شرط جوهرى هو التأثير الروحى اوبتعبيرادق "البركة" وهى لاتتأتى الا بواسطة شيخ ومن هناكانت الطرق ومن كانت "السلسلة" وهل السلسلة الا بركات تنتقل من شيخ الى مريد يوشك ان يصبح شيخا فيؤثر بدوره فى مريد او مريدين ؟ ونختتم هذه الكلمة بملاحظة جوهرته تتعلق بطبيعة التصوف وهى ان التصوف ليس عملا علميا ولا بحثا نظريا انه لا يتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية بل

ان ما كتبه كبار مسائخ الصوفية انفسهم لا يستخدم الا كحافرمقو للتأمل والانسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفا على ماكتبه كبارالصوفية فى كل مايعود على الاسلام والمسلمين بالخير جميعا علميا وعمليا واجتماعيا فكل وجد وكل لون لايفهمه الامن كان اهلا لفهمه وبعد نتخلص هذه المتقدمة فى توافر الانسان على التصوف الواعى اى طلب الكمال فكل شيئ حسي او معنوى مبادى او روحى خاص او عام فرادى او اجتماعى بالقراءة والعمل هذه الرسالة مرشدية من الشيخ ندعوالله ان يندرج الاخوان تحت اسم الكمال فهو لنا هدق مفروض ومقصود واجب ويبدأ ذلك من الصلح على الله والادب معه والتطهر فيه والتعبد له ودعوة الخلق اليه وهذا بطبيعة يستوجب الاستفهام العمل عسى الله ان يوفقنا لهذه الاعمال الصالحة من شيخنا وممن يتعنا فى هذا السبيل الهى كيف نتوسل اليك حالنا وهى لا تخفى اليك كيف نترحم لك مقالنا وهو منك برز اليك كيف لاتحسن احوالناوبك قامت واليك الهى ما الطفك بنا مع عظيم جهلنا وما ارحمك مع قبيح فعلنا الهى ما اقربك منا وما ابعدنا عنك الهى انت مقصودى ورضاك مطلوبي.

والسلام عليكم ورحمة الله الحاج ابو

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس فى بيان ذكر الله واثره فى التربية الروحية

اعلم ان طريق شيخنا رضى الله عنه طريق الذكر فقط وليس غيره يعني ذكر اللسان والجنان ففيه الفتح وفيه الطلب وفيه قضاء الحوائج وهومنه واليه وبه كل شيئ فاذا امرتك بشئ غيره فاضرب صفحا واتبع الذكر ففى الاسماء العلو الى السماء قلبك مع ربك وربك معك فليس بعيدا عنك يقربك اليه ويعرفك به ومن عرف الله عرفه الحكمة انا لانضيع اجر من احسن عملا لان الشيخ يرى ان الاوراد والاحزاب انما فتح بها على اصحابها من اثر ذكرهم الله تعالى فالاولى بالمريدين ان يسلكوا الى الله تعالى من باب ذكره سبحانه لانه اصل ثابت وفرعه فى السماء والىجانب الذكر الفردى بالكيفية والعدد المرسومين فى طريق الصوفى هناك ذكر الجماعة بعض الوقت وهو اقوى تأثيرا واقوى اثرا فى رفع الحجب عن القلب من ذكر الواحد وحده وفى ذكر الجماعة يحصل لكل ذاكر ثواب

ذكره بنفسه وثواب سماع الذكر من غيره وقد امر سبحانه وتعالى بالتعاون على البر والتقوى والذكر الجماعة من هذاالباب المقصود من ذكر الله تعالىان يجتنب المؤمن الغفلة عنه سبحانه لان الغفلة تجرئه على المعصية والذكر يعاونه على تركها والتصوف يدعو الى تخلية القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل وعندئذ تستولى عليه الانوار القدسية فيتعلق بالله ويؤثره سبحانه على هواه وعلى كل ما سواه لانه جل جلاله وعز شأنه هو المطوب والمرغوب والمحبوب منه ابتداؤنا واليه انتهاؤنا وقد جعل الله سبحانه وتعالى الدنيا دار التكليفة وجعل الاخرة دار تشريفه ولم يكلفنا فى الدنيا محالا وانما كلفنا ممكنا يحتاج للمجاهدة الظا هرة والباطنة ليتميز بالمجاهدة الخبيث من الطيب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اما هو سبحانه فأنه غنى بنفسه عن غيره لانفع لنا من طاعة ولا ضرر عليه من معصية والنفع والضرر للعباد او عليهم ووجه ابتلاء المؤمن ان له نفسا امارة بالسوء تتحرك للشهواة بطبعها وجعلتها والله امرة بالكف عنها والحذر منها فصار فى مسلك وعر ان ارض نفسه فى شهوتها فقد اغضب ربه وان ارضى ربه فقد اغضب نفسه ولا ثالث

لهذين الامرين فليختر لنفسه ما يخلو وما دامت العلة خافية عن العيون ومدركة بالبصائر فلابد من نور خفى عن العيون ومدرك بالبصائر ليقاوم العلة فيخرج صاحب الشهوات من الظلمات الىالنوربأذن ربه وقد دلت التجارب العملية الشيوخ العارفين بالله ان الذكرالله لها من الانوار والخصائص فى الاسرار مايشفى صدور قوم مؤمنين تأسيسا على قوله تعالى فاذكرونى اذكركم فاذا ذكرت ربك كشف عنك غطاء العفلة فكنت ذاكرا مذكورا شاكرا مشكورا فى قوله تعالى واشكرولى ولا تكفرون وتوالت عليك النفحات وغمرتك البركات ومحيت عنك السيئات وعظم لك الاجر قال الله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ولا تنس ان الله تعالى عرف اولى الالباب بانهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الاية وقد قال العارفون ان رزق الظاهر بحركات الاجسام ورزق الباطن بحركات القلوب وقد بين القرأن العظيم ان الذكر علاج لأضطراب القلوب وسبيل لأطمئنا نها فقال تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب لان المقصود من الذكر دوام حضور القلب مع الله فتأدية الصلوات ذكر

والزكاة ذكر والصيام ذكر والحج ذكر والتفقه فى الدين بالقدر الضرورى او اكثر ذكر والافتاء فى احكام الله ذكر وقراءة القرأن ذكرا والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر الخ فالعبادات تتنوع والمذكور فيها واحد سبحانه وتعالى وما شرع الله العبادات والطاعات الا لذكره واتنا ان قلنا ان الشيوخ العارفين بالله يربون المريدين بطريق الذكر فلا نقصد انهم ينهون عن غيره من الطاعات انما نقصد انهم يزكون الارواح فى جنب الله تعالى من طريق الصوفية من ذكر الله تعالى جمعات وفرادى وذلك النجانب العبادات الشرعية المفروض منها والمسنونة والمندوبة لانها الاساس المتين التى تبنى عليه الكمالات التربوية الروحية ولا شك ان ذاكر الله على النهج الصوفى كما دلت التجارب العملية الصحيحة يذوق من حلاوة العبادات والطاعات مالا يذوقه المؤمن العادى الذى يغفل عن الله فى اغلب اوقاته كما ان الذاكر يتدبر من معانى القرأن الكريم والسنة الشريفة مالا يتدبره غيره والسادات الصوفية يعودون المريدين اولا على ذكراللسان الذي يرقيهم مع الموالات من ذكر القلب بكلفا الى الذكر طبعا ثم الى ذكر السر وعلامة هذا

الاخير انك اذا تركت الذكر فانه لا يتركك بل يردك من الغيبة الى الحضور ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه من علامته انه لا تخمد نيرانه ولا تذهب انواره والشيخ العارف يعاون المريد السالك علىمقاومة هواه ومغالبة نفسه لان النفس فى اول مراتبها تكون امارة بالسوء اىكثيرة الاوامر التى ترضى طبيعتها البدنية وشهواتها الحسية فينيرلها الذكر سبيل التبصيرة كما ينير السراج غرفة مظلمة فترقى من الامارة الى اللوامة فتندم عند وقوع الذنب وتود اصلاح حالها مع ربها ولاترضى ان تكون فى غفلة عنه ولا عاصية له فتتوب وتثوب الى رشدها فاذا جد صاحبها فسلوكه وتابع ارشاد شيخه وهم فى ذكر ربه امحت من قلبه بالذكر ظلمات الغفلة والمعاصى شيئا فشيئا وتخلت نفسه عن الرذائل وتحلت بالفضائل فتلقت انوار الحق فأطمأنت الى ربها وسكنت اليه فرضى عنها وارضاها وبان لنا مما تقدم ان ذكر الله تعالى يرفع العبد المؤمن من ارضى الشهوات الى سماء المعرفة وهذا ما اشار اليه سيد الشيخ العارف بالله لتلميذة فى قوله ففى الاسماء العلو الى السماء اما قول الشيخ العارف بالله رضى الله عنه بعد ذلك قلبك مع ربك وربك معك فليس

بعيدا عنك يقربك ويعرفك به فانما يذكره بمعنى ماجاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى انا عند ظن عبدى بي وانا معه اذا ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرني فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه وبعد العبد من ربه وقربه منه ليس بعد المسافة او قربها وانما يكون العبد بغفلة القلب عن الله والقرب بحضور القلب مع الله فالبعد هو الحجاب والقرب هو كشف الحجاب والحجاب ظلمة والكشف نور والظلمة جهل والنور معرفة وعلى قدر معرفة المؤمن بربه يكون اتصاله به وليس ذلك الاتصال اتصال ذات فى ذات الله تعالى علوا كبيرا وانما اتصال ايمان به سبحانه وتعالى ويقين فيه ومحبة فيه واعتماد عليه وركون اليه وحضورمعه وطلب لرضاه وايثاره على ما سواه سبحانه لااله الاهو الحى القيوم ويقول سيدى ابوسعيد الخزاز رضى الله عنه اذا اراد الله ان يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم جعله على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وادخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على

لجلال والعظمة بقى بلاهو فحينئذ يصير العبد زمنا فانيا فوقع فحفظه وبرئ من دعاوى نفسه اقول والناظر فى الكتاب والسنة يرى انهما حضا على الذكر بل والذكر الكثير بالسان وبالقلب والذكر اللسان موصل حتما الى ذكر القلب والمعول على ذكر القلب ويقول سيدى ابو حسن الشاذلى رضى الله عنه الذرة من اعمال القلوب تعدل امثال الجبال من اعمال الجوارح وليحذر المريدون من دسائس الشيطان فقد يصده عن ذكر الله بوسوسة خبيثة فيلقى فى صدره انك تذكر بلسانك وليس فى قلبك خضور فما فائدة هذا الذكر ان هذ الذكر وجوده كعدمه لا فائدة منه ولاثمرة له فارح نفسك منه وليعلم المريدون ان الغفلة عن الذكر شر من الغفلة فيه واذا اراد ان يكسب الحضور فليجالس شيخه او اخوانه المجدين الذين يؤنس بهم فى طريق الله فان الارواح يسقى بعضها بعضا كما سمعت ذلك من سيدى الشيخ ووجدت صحته بالتجربة التى دلتني على ان الغفلة تكون مع اهل الغفلة والحضورمع اهل الحضوراما ذكر الله على التخصيص فيقصد به ذكره تعالى بالذكر اللسان والقلب جماعة وفرادى يعنى ذكر الجهر والخفى وهو من فضائل الاعمال وثمرته دانية

دلت عليها التجربة العملية ورواد التجربة صوفية كل عصر والتقلب فيهم يكسب المؤمن محبة الله تعالى مجبة خاصة وبقوله تعالى فى القران الكريم والذين امنوا اشد حبالله يؤثر بها ربه عماسواه كما اثره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سجل الله ايثارهم فى اروع صورة فى مثل قوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال.

الفصل السادس فى بيان اضناء الشيطان بذكرالله

فى كتاب الفتح الربني تأليف السيد الشيخ عبد القادر الجيلانى قال ياقوم اضنوا شياطنكم بالاخلاص فى قول لا اله الاالله لا بمجردة اللفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم اضنوا شياطنكم بقول لا اله الاالله محمد رسول الله فأن الشيطان يضنى بها كما يضنى احدكم بغيره بكثرة ركوبه وسبيل احماله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المشهورمامنكم من احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم ولا انا : الا ان الله تبارك وتعالى قد اعانني عليه فأسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات والارض كذلك حتى يقول ابليس لعنة الله عليه فى القران العظيم لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال الله تعالى ياايها الذين امنوا اذكروالله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فقد ورد ذلك الارشاد فمذكرهم بالكيفية والعدد المرسومين فى طريق الصوفية

الذين يقولون كلمة لا فى وسط البدن من تحت السرة الى الدماغ فى الرأس وقول الله فى كتف الايمان ثم قول الا الله فى كتف الايسر واعلم واولى مايستعان به على محاربة الشيطان ودفعه كلمة الاخلاص وذكر المرء ربه عزوجل انه قال لااله الاالله حصنى فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصنى فقد امن من عذابي وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون فاخبر عزوجل ان جلاء القلوب بذكر الله وبه يزول عنها الغطاء والظلمة والرين والغفلة وبه تنكشف الكروب والذكر مفتاح التقوى والورع والتقوى باب الاخرة كما ان الهوى باب الدنيا قال الله تعالى واذكروا مافيه لعلكم تتقون فاخبر تبارك وتعالى ان الانسان بالذكر يتقى ومجاهدة الشيطان باطنة وهى بالقلب والجنان والايمان فاذا جاهدته كان مدرك الرحمن ومعتمدك الملك الديان ورجاءك رؤية وجه الجليل المنان وجهاد الكفار وجهاد الظاهر بالسيف والرماح ومدرك فيه الملك والاعوان ورجاؤك فيه دخول الجنان فان قتلت فى مجاهدة الشيطان ومخالفتك اياه بفناء اجلك واحترم منيتك كان جزاؤك رؤية وجه رب العالمين عند اللقاء فان قتلك الكافر كنت

شهيدا وان قتلك الشيطان بمتابعتك اياه والانقياد لامره كنت من قرب الملك الجبار طريدا فجهاد الكفارله نهاية وفناء وجهاد الشيطان والنفس لاغاية له ولامنتهى قال الله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين يعنى الموت واللقاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رجع من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر عني به صلى الله عليه وسلم مجاهدة الشيطان والنفس والهوى لمداومتها وطول محارستها وخطرها والخوف من سوء خاتمتها يااخونى التوحيد يحرق شياطين الانسى والجن لانه نار للشياطين ونورللموحدين كيف تقول لااله الاالله وفى قلبك كم اله ؟ كل شيئ تعتمد عليه وتثقى به دون الله فهو ضمك لا ينفعك توحيد اللسان مع شرك القلب لاينفعك طهارة القلب مع نجاسة القلب الموحد يضنى شيطانه والمشرك يضنيه شيطانه الاخلاص لب الاقوال والافعال لانها اذاخلت منه كانت قشرا بلا لب القشرلايصلح الا النار اسمع كلامى واعمل به فانه يخمد نارطعمك ويكسر شوكة نفسك لاتحضر موضعا تثورفيه نار طبعمك فيخرب بيت دينك وايمانك بثور الطبع والهوى والشيطان فيذهب بدينك وايمانك وايقانك لاتسمع كلام هؤلاء المنافقين

المصنعين المزخرفين فان الطبع يسكن الى كلام مزخرف مصنع هوس كعجين فطير بلاملح يؤذى بطن اكله ويهدم بيته العلم يؤخذ من افواه الرجال لا من الصحف من هؤلاء الرجال رجال الحق عز وجل المتقون التاركون الوارثون العارفون العاملون المخلصون ماهو غير التقوى هوس وباطل الولاية للمتقين دينا واخرة الاساس والبناء لهم دينا واخرة حقيقة التوبة تعظيم امرالحق عزوجل فى جميع الاحوال ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليهم الخير كله فى كلمتين التعظيم لامر الله عز وجل والشفقة على خلقه كل من لايعظم امرالله عزوجل ولايثفق على خلق الله فهو بعيد من الله قال الله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله حبل من الناس الله عزوجل انما يحب من عبادة المؤمنين المحسنين الصابرين لوكان لك خاطر صحيح عرفتهم واحببتهم وصحبتهم انما يصح الخاطر اذا تنور القلب بمعرفة الله عزوجل لاتسكن الى خاطرك حتى تصح المعرفة ويبين لك منه الخير والصحة غض بصرك عن المحارم وامسك نفسك عن الشهوات وعود نفسك اكل الحلال واحفظ باطنك بالمراقبة الله عزوجل وظاهرك باتباع السنة وقد صارك خاطر صحيح مصيب وتصح لك المعرفة

بالله عزوجل انما اربى العقول والقلوب اما النفوس والطباع والعادات فلا ولا كرمة واماالتوحيد بلا اله الا الله فان من توجه وقلبه لغير الله حجب عن الله تعالى وكل من ذكر وقلبه بغير مذكوره حجب بألف حجاب لان الذكر عمل جامع الاحوال القلوب واسرار القرب من مقامات اليقين ومشاهدة الشهود ومراتب كشف الغيوب وهو حصن الله الاعظم ومن دخله كان امنا من الافات الظاهرة والباطنة واصل الذكر التلذذ والحلاوة فان غلب عليك فخشوع ودموع واحتراق واغتراق وذلك علامة الفتح ولايزال الذاكر يذكر حتى يدرك العجائب والغرائب والاسرار العظيمة والكيفية الفخيمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذكر لا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص الله قال الله تعالى ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ثم لايحرك لسانه بالذكر ويبقى الفكر وهو مقام الاكبر وفيه كلام فاعرف وهذا التوجه سريع الفتح واكثر العبادات والرياضات واشتغلوا بالتوجهات حتى احرق الذكرقلوبهم ماسوى الله وتوقفوا فاذاكان مع رياضة حصل الكمال الاعظم سريعا البتة بلا شك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ماقال احد لا اله مخلصا من قلبه الا فتحت ابواب السماء حتى

بفضى الى العرش ويستدل الغزالى رضى الله عنه على صحة طريق الصوفية واقيا بعد ان استدل على صحته نقليا فيذكر ان هذا الطريق سلكه الصحابة والتابعون ويورد حوادث تدل على ذلك من حياة الصحابة والاولياء والصوفية ثم يعقب عليها بان الحكاية لاتنفع الجاهد مالم يشاهد ذلك من نفسه الطريق الصوفية تقديم المجاهدة ومحوالصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله المتولى لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم فاذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة وتلألأت فيه الحقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطس التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالاولياء والانبياء ونحوهما انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد فى الدنيا وتبرى من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكته الهمة على الله تعالى فمن كان الله كان الله له كذلك حجة السلام الغزالى رحمه الله قال وان اخص هذه الطريقة مالا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال

وتبدل الصفات وان اهلها هم يقينا ان الصوفية المالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لوجمع عقل العقلاء وحكماء الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيا من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هم خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكنا تهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نوريستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها وهى اول شروطها تطهير القلب بالكلية عماسوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكرالله واخرها الفناء بالكلية فالله لقوله تعالى فى القران العظيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوا الجلال والاكرام — كل شيئ هالك الا وجهه وقال الغزالى رحمه الله ان القلب وهو عنده اللطيفة الربانية الروحانيية المتعلقة بجسم الانسان هوحقيقة ذات الانسان وهو المدرك العارف فيه وهو محل النور الذى يقذف الله به اليه فينال قوة الكشف عن الحقائق فاذاكان الماديون يرون ان وسائل المعرفة هاالحواس الخمس ومن فوقها

العقل فان الغزالى برى ان المعرفة لها بعد هذه الوسائل وسيلة اهم واعظم وهى وسيلة الكشف الباطنى او وسيلة الالهام الروحى الذى يبلغه الانسان بتصفية النفس وتطهير القلب والبعد عن ادران المادة ومعنى هذا ان المعرفة لاتتحقق الا عن طريق القلب الكامل الصافى المقطوع عن الشواغل الدنيوية ولذالك كان اصحاب القلوب الصافية الذين تبتلوا وذكروا نفوسهم هم الذين يسبحون فى بحارالمعرفة الحقيقة كما يعبر حجة الاسلام وان القلب هو مفتاح الوصول الى المعارف الدينية السامية وان الانسان اذا غاص فى نفسه ورجع الى قلبه تفجرت له ينابيع العلوم اللدنية والمعارف القدسية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما تصدأ به الحديد وجلائها ذكر الله وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس الله سره القلب هو محل العلم الحقيقى لانة لطيفة الربانية المدبرة لجميع الجوارح وهو بالنسبة الى حقائق المعلومات كالمرأة بالنسبة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثل هذه الصورة ينطبع فى المرأة كذلك لكل معلوم حقيقة ولهذه الحقيقة صورة تنطبع فى القلب القلب يصدأ فان تداركه صاحبه بما وصف النبي صلى الله عليه وسلم والانتقال

الى السواد يسود لبعده عن النور يسود لحبه الدنيا والتحويز عليها من غير ورع لان من تمكن من قلبه حب الدنيا زال ورعه فيجمعها من حلال وحرام يزول تمييزة فى جمعه يزول حياؤه من ربه عزوجل ومراقبته ياقوم اقبلوا من نبيكم واجعلواصدأ قلوبكم بالدواء الذى قد وصفه لكم لو ان بأحدكم مرضا ووصف بعض الاطباء دواءله لما اهنأه العيش حتى يستعمله راقبوا رابكم عزوجل فى خلوتكم وجلواتكم اجعلوا نصب اعينكم حتى كأنكم ترونه فان لم تكونوا ترونه فهو يراكم من كان ذاكر الله عزوجل بقلبه فهو الذاكر ومن لم يذكره بقلبه فليس بذاكر اللسان غلام القلب وتبع له ودوام على سماع المواعظ فان القلب اذا غاب عن المواعظ عمى حقيقة التوبة تعظيم امر الحق عز وجل فى جميع الاحوال ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليهم الخير كله فى كلمتين التعظيم لأمرالله عز وجل والشفقة على خلقه كل من لا يعظم امر الله ولا يشفق على خلق الله فهو بعيد من الله قال الله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد ابن ادم مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا

وهى القلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى باطنكم وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشرعباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقن هذه الكلمة الطيبة للصحابة رضى الله عنهم لتصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وايصالهم الى الحضرة الالهية والسعادة القدسية وسئل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة قال الغزالى رضى الله عنه ومن شعارات الصوفية من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ومن تشرع وتصوف فقد تحقق وقد سبق ان عرفنا ان مراتب الوصول الى الله على ثلاثة مراحل اسلام فايمان فاحسن فالعبد مادام مشغولا بالعبادة وحدها فهو فى مقام الاسلام او مقام الشريعة فاذا انتقل العمل الى القلب بالتصفية والتخلية من الشر والتحلية بالخير وتحقق بالاخلاص فهو فى مقام الايمان او مقام الطريقة

واذا بلغ الانسان مرتبة العبادة لله كأنه يراه فهم فى مقام الاحسان هو مقام الحقيقة ولذلك يقولون الشريعة ان تعبده والطريقة ان تقصده والحقيقة ان تشهده وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس الله سره ولم يسم اهل التصوف الالتصفية باطنهم بنور التوحيد والمعرفة الصوفى الصادق فى تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه ومحبته الى ربهم تقضيهم جهادا مريرا فى تخلية قلوبهم من غير الله وتحليته بذكر الله تعالى عزوجل وقال النبي صلى الله عليه وسلم علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله والمحب لايملك شيئا يسلم الكل الى محبوبه ثم يقول سيد الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس الله سره فالواجب على الانسان طلب حياة القلب الاخروى فى الدنيا من اهل التلقين قبل فوت الوقت لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والاخد عن شيخ عارف بالله امر ضرورى فى التصوف لكسب اليقين اى جالسوا اهل اليقين وكل بيعة حصلت بعد النبي صلى الله عليه وسلم تجديد لبيعته صلى الله عليه وسلم والعارفون بالله نواب عنه صلى الله عليه وسلم فى تعليم الناس اداب الدين الظاهرة والباطن والاداب الباطنية اصعب منالا

من الاداب الظاهرة لانها تحتاج لمعترك خفى بين المرء وهوى نفسه وشيطانه وغرار الدنيا الخداعة وافاته القلبية من الحقد والحسد والعجب والريا والنفاق الخ ومن طلب طريق القوم بغير امام عارف بالله تاه فى اول قدم وكفى شرفا لطريقهم النورانى ان سيدنا موسى عليه السلام وهو من المرسلين اولى العزم طلبه من الخضر عليه السلام وقال له هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وهذا اقوى دليل على وجوب طلب التصوف وهو علم اداب القلوب من اهله ويشير الى ذلك استاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه يقول :

اذا لم يكن للنفس شيخ له هدى * يؤدبها بالروح زاغت عن السير

ولايعبر البحر الحضم ونواه * سوى ما هر يدرى الملاحة فى البحر

ولو لا اتصال الكهرباء باصلها * على موجة التيار ما نورها يسرى

والله المستعان فى كل وقت وحين الموفق والمعين لااله الاالله الملك الحق المبين اللهم اجعلنا من عبادك المؤمنين الموقنين ونسئلك ان يجعلنا علما نافعا ودنيا مغفورا من الاولبن والاخرين بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء والمرسلين وبكرامة الاولياء خصوصا سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى سلطان العارفين وحجة العاشقين والمشايخ المحققين وببركة المسلمين والمؤمنين اجمعين والحمد لله رب العالمين امين يا مجيب السائلين.

قد تم تكريرالكتابة بتاريخ ٢١ مارس, ٢٠٠٤ م / ٢٩ محرم ١٤٢٥ هـ
